

الفروسية العربية

للمخبر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٣ —

ومن أشهر الحكايات ما جاء في التوراة عن سيدنا إبراهيم الخليل (بينما هو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار — رفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد على الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . خذوا قليل ماء واقبلوا أرجلكم وانكثوا تحت الشجرة ، وخذوا كسرة خبز لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت . فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقتي سميد اعيني واصنعي خبز ملة ثم ركض إبراهيم إلى البقر ثم أخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه إلى التلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زيداً ولبتاً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا) وأرجو أن ألفت نظركم إلى أن سيدنا إبراهيم عند ما دعا هؤلاء الجماعة لم يكن يعرف من هم وقد طلب منهم أن يتناولوا شيئاً من الخبز والماء قائلاً « إن وجدت نعمة في أعينكم » وهذا دليل على أنهم يرفعون من شأنه يتناولهم الطعام عنده ، وتزام جالساً بانتظار الخبز والماء ولكن تراه يقدم لهم عجلاً وزيداً ولبتاً بدل الذي دعام إليه . ثم يقف بين أيديهم لخدمتهم . فالبدوي يقدم آخر شاة عنده طعاماً لضيف غريب ، وهذه هي عادتهم التي ساروا عليها من قرون طويلة . وأظن أن أخبار حاتم الطائي معروفة لديكم إذ أنه بسد أن ذبح جميع ما يملك من ماشية وإبل لإطعام الفقراء من قبيلته في سنة عمل ذبح لهم فرسه وهي آخر ما يملك . ومن التبغ أن يقف عبيد الشيوخ على باب الخيمة منادين على الطعام . وقد لقب الناس ابن مهيد أحد شيوخ عنزة « بالنادي على الطعام » لأن عبیده كانت تنادي الناس يومياً إلى الطعام في سنة تحط إن السيب كل السيب في نظر البدوي أن تطهي طعاماً يكفي

لضيوفاك فقط ، وحتى في رمضان عندما تكون القبيلة بأجمعها ساعة ترى أنهم ينحرون ثلاثة أو أربعة خراف لإطعام بضعة أشخاص مع علمهم بأن بقية الطعام ستذهب سدى . ولقد تمدى كرم البدوي الانسان إلى الحيوان . ويروي أن عنزة نحرت في يوم زفافه مئات الإبل ورماها في البراري لتشاركه الوحوش في فرجه . والبطل السوري مقرى الوحوش كان يطلق في البرية كل ما يربحه من غزواته لأنه كان يطلب المجد لا الكسب . وأنا شخصياً أعرف شخصاً اسمه « معشى الديق » كان يربط جدياً في البرية عندما يسمع ذنباً يهوى قائلاً : « لا يتاديني ضيف في المساء دون أن يتناول الطعام » . لقد دعوت أنا شخصياً منذ مدة سمو الأمير عبدالله أمير شرق الأردن إلى وليمة بقرب وادي موسى — بتراء ، وقد حضر ما يقرب من ٥٠٠ شخص من الفلاحين للسلام على سموه ، ولم أكن أتوقع حضور مثل هذا العدد ، ولكن رجالي وكلهم من البدو لم يكونوا مستعدين أن يمرضوا أنفسهم لألسنة الفلاحين الجارحة ، ولذلك فإن الطعام الذي طهي كان فضلاً عن كفايته لإطعام الخمائة شخص فقد قدموا رزاً مسلوفاً وزيادة إلى مطايا الزائرين

حماية الضيف

وبالإضافة إلى الثلاث الخصال التي تتصف الفروسية بها يوجد طبع آخر في البدو يحمل نفس الطابع الخيالي الذي اتصفت به عادتهم الثلاث (المجد في الحرب . احترام المرأة . الكرم) التي سبق أن ذكرناها — وهو حماية الضيف . فنجد ما يلتهج غريب أو أرملة أو يتيم إلى بدوي تراه يدافع عنه حتى ليقا تل أقاربه لأجله . فمثلاً حرب البسوس التي وقعت منذ ألف وثلاثمائة سنة عندما أطلق كليب وائل — كبير شيوخ مد — سهماً على ناقة لخالة جساس أختي جليلة زوجة كليب فقد ذهبت تلك المجوز إلى جساس وروت له الحادث ، فما تمت رواية قصتها حتى قام ولبس ملابس الحرب وذهب وقتل كليباً . ويقال إن حرباً دامت أربعين سنة بين الفريقين التجاريين كانت نتيجة لهذا الحادث . وقد وقع مثل هذا الحادث في قبيلة الرولا — إذ طلب شيخ من مجوز من قبيلة الشرارات وهي قبيلة تجتحرها بقية القبائل بتخذ رجالها صناعة النحاس مهنة لهم ، فاستجارت المجوز بان مشهور الشعلان الذي أجمدها حتى أطلق على نفسه في الحرب

أسرعت حتى دخلت الخيمة فإنا كان منه إلا أن رى بندقيته وأقبل
يفسل جراحى .

ومن عادات البدوى التمسك بالصدقة والاعتراف بالجليل .
في يوم من الأيام اقتتل ابن على وابن رشيد من شيوخ قبيلة
شمر فطرد ابن على ابن رشيد مع أخيه من القبيلة ، ترك الاخوان
القبيلة ومعهما جمل واحد قاصدين البلاد المعروف اليوم بشرق الأردن
وقى طريقهما نزلا سنيفين على الخريشة فأكرم السيد وقادتهما
إذ كان الشيخ غائبا . وفي صباح اليوم التالى تهباً للسفر فوجدوا أن
جملهما قد نفق . فساروا على الأقدام ، وفي الطريق قابلهما بدوى
فسألها عن حالهما فأخبراهما بواقعة الحال ، فنزل عن جملة وقدمه إليهما
قائلا : أما الشيخ ولن يضيفنى إنسان راكباً ويترك منزلى راجلا .
وعند ما عاد ابن رشيد إلى الحكم بقيت الخريشة صديقة معزة
مكرمة . ومن الصفات التى يقتخر العرب بها الأمانة ، وقصتنا
هى حادثة السموأل الذى ضحى بولده على أن يسلم الدرود التى
اثنمنه عليها امرؤ القيس . منذ سنين قليلة مضت أثار عودة أبو تاية
حليف لورنس على عنزة وكانت الثلبة لمودة ، وفي أثناء المركة رى
شخص نفسه على عوده يطلب الأمان ، فأمنه ، ولكن
الرجل طلب علامة يدرأ بها الخطر عن نفسه فأعطاه عوده كوفيته
ونزل إلى المركة حاصر الرأس . ومرت السنون وإفا برجل غريب
يقدم نفسه إلى عودة قائلا : إن لك عندى قطيعة من المشية .
فسأله عودة عن ذلك فقال : اننى الرجل الذى أعطيتك كوفيتك
فى الموقمة الفلانية وقد بنتها واشترت بها ماشية وتكاثرت
وهانذا أقدمها لك . إن عودة كان قد نسى ذلك الرجل وكان
المداء لا يزال على أشده بين القبيلتين

بميل تبعين

(يتبع)

« أخو ريدة » اسم المرأة التى استجارت به زيادة فى تمجيد عمله
العظيم . ومن عادات البدوى مجدة من يلتجئ إلى الخيمة . وبهذه
المناسبة أود أن أذكر حادثا وقع معى شخصيا عند ما تار فيصل
الدويش مع قبائل مطير على ابن سمود فخاربههم وانتصر عليهم
وقد أرادوا الالتجاء إلى العراق عند ما طاردتهم الجيوش السعودية ،
ولكن أوامر مشددة صدرت إلى بمنعهم من الالتجاء
إلى العراق . وقد تمكنت من إيقانهم فى موقع وبقيت فى انتظار
وصول الجيوش السعودية لسوقهم . وفى ذات يوم بينما أنا فى خيمتى
إذا برجل — وهو أحد زعماء المجان — يدخل الخيمة ويصيح :
أنا أطلب الحماية — وكان هذا الزعيم من المكروهين والمنضوب
عليهم من ابن سمود — لقد كان موقفا حرجيا وعيبرا إذ أن
عادات البدوى تقضى بحماية الرجل ، وأوامر حكومتى تقضى بعدم
السماح لأحد من المرور إلى العراق . ولكنى فى النهاية قررت
أن أتبع تقاليد البدو فأركبته جملا وأفهمته أن يتوجه إلى قبيلة
عراقية ساكنة بالقرب منا . لقد كنت أظن أن هذا الحادث
قد انتهى وأن ابن سمود لن يسمع به . ولكن راعنى أن
قدمت فى صباح اليوم التالى أربع سيارات سعودية تحمل وقدأ
برئاسة سكرتير ابن سمود الخاص للاحتجاج على عملى بهرب
الرجل . ولكنى بلطف صرفت ذلك الوفد . وبعد فترة
عاد الوفد يحمل كتابا شديد اللهجة حول تصرفى — لقد تخرج
موقفى إذ أن أوامر حكومتى كانت صريحة ولكنى صممت على
أن أبقى أمينا على عهدى مع الرجل . لم أجدلى مخرجا من هذا
الأمر إلا بأن أفهمهم الحقيقة . وقد فعلت . طلب ابن سمود
من الحكومة المرافية بعدئذ تسليم جميع اللاجئين ولكنه لم
يشر بحرف إلى رجلى . إن العرب صلاب أشد الصلابة فى المطالبة
والمدافعة عن حقوقهم ، ولكنك إذا التجأت إلى كرمهم فلن
يخيبوا ظنك . وهذه قصة سممتها من شاب ساكن مع بنى صخر
فى شرق الأردن أسلمه من البلاد الواقعة قرب الخليج الفارسى —
قال : قام الوهايون وكنت معهم بهجوم على بنى صخر فقتلنا
منهم وقتل منا خلق كثير . وفى تلك الموقمة أصبت بجراح وأغمى
على حتى لم أفق إلا فى صباح اليوم التالى أمام خيام بنى صخر .
قتت أحامل على نفسى حتى قربت من بيت شمر وإذا برجل ما كاد
يرانى حتى أطلق على عيارين نارين — وكان قد فقد أخاه فى مركة
الأسس — ولكن الغضب والحقد أعماه فأخطأنى . حينئذ

تمت الطبع :

حياة الرافعى

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة

تمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشا